نشيد الفرح

بمقدم النبي صلى الله عليه وسلم

بقلم
إسماعيل الأنصاري

مكتبة الإمام الشافعي

نشيد الفرح

بمقدم النبي ﷺ

بقلم

اسماعيل الأنصاري

الكتب النادرة التي تطبع لأول مرة

مكتبة الإمام الشافعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فإنّ خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله - ﷺ - كان قد استقبل بنشيد يحمل الفرح العظيم بمَقْدِمه هو:

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنا

مِنْ ثَنِيّاتِ الوَدَاعْ

وَجَبَ الشُّكْرَ عَلَيْنا

مَا دَعَا لله دَاعْ

وقد رأيت سؤالاً عن هذا النشيد هل كان حينما قدم النبي - ﷺ - إلى المدينة مهاجراً إليها أم كان بمناسبة لقاء أهل مكة النبي - ﷺ - يوم الفتح، أم عند عودته من غزوة تبوك؟ فكان ذلك مما حملني على البحث عن هذه الناحية فتحصلت على ما أسرده مع بيان مستند كل قول وتعقيب ما يحتاج إلى التعقيب فيما يلي:

القول الأول:

إنّ هذا النشيد كان عند مقدم النبي - ﷺ - المدينة مهاجراً إليها؛ روى ذلك البيهقي في «دلائل النبوة»، وابن المقري في «الشمائل»، وأبو سعد في «شرف المصطفى»، والخلعي في «فوائده».

ولفظ البيهقي: أخبرنا أبو عمرو الأديب، أخبرنا أبو بكر الإِسماعيلي، سمعت أبا خليفة، يقول سمعت ابن عائشة يقول: لما قدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة جعل النساء والصبيان يقلن:

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنا
مِنْ ثَنِيّاتِ الوَدَاعْ
وَجَبَ الشُّكْرَ عَلَيْنا
مَا دَعَا لله دَاعْ

وقال أيضاً: أخبرنا أبو نصر بن قتادة، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، سمعت أبا خليفة يقول: سمعت ابن عائشة يقول: لما قدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة جعل الصبيان والولائد يقلن:

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنا
مِنْ ثَنِيّاتِ الوَدَاعْ
وَجَبَ الشُّكْرَ عَلَيْنا
مَا دَعَا للهِ دَاعْ

ثم قال البيهقي: «وهذا يذكره علماؤنا عند مقدمه المدينة من مكة وقد ذكرناه إلا أنه إنما قدم المدينة من ثنيات الوداع عند مقدمه من تبوك والله أعلم» انتهى كلام البيهقي(١).

---

(١) نقل عنه الرواية الأولى الحافظ ابن كثير في الجزء الثاني من «السيرة المطولة» ص ٢٦٩، وفي الجزء الثالث من البداية والنهاية ص ٢٦٩، وذكر رواية البيهقي الثانية في السيرة المطولة ج ٤ ص ٤١ ـ ٤٢ في الكلام على غزوة تبوك، وفي البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٣.

ومـمـن مـال إلـى هـذا الـقـول الإِمام أبـو عمر ابن عبد البر، قال في كلامه على ثنية الوداع: «أظنها على طريق مكة ومنها بدا رسول الله ـ ﷺ ـ وظهر إلى الـمدينة في حين إقباله من مكة» فقال شاعرهم:

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنَا

مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَدَاعْ

وَجَبَ الشُّكْرَ عَلَيْنَا

مَا دَعَا للهِ دَاعْ

نقل ذلك عن ابن عبد البر الحافظ ولي الدين أبو زرعة العراقي في «طرح التثريب»[1].

(١) ٧: ٢٢٩.

لـكـن روايـة عـبـيـد الله بـن مـحـمـد المعروف بابن عائشة هذه أعلت بالإعضال، وبعبارة أخرى بالانقطاع، فقد قال الحافظ أبو زرعة العراقي في «طرح التثريب في شرح التقريب»: «هذا الذي ذكروه ـ أي ابن عبد البر وغيره ـ من إنشادهم هذا الشعر عند قدومه ـ عليه الصلاة والسلام ـ المدينة رواه البيهقي في دلائل النبوة وأبو الحسن المقري في «كتاب الشمائل» له عن ابن عائشة، ثم نقل عن والده الحافظ زين الدين العراقي أنه قال في «شرح الترمذي»: «كلام ابن عائشة ـ أي المذكور ـ معضل لا تقوم به حجة» اهـ[١].

(١) ٧: ٢٤٠ ـ ٢٤١.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري»(١) شرح باب مقدم النبي - ﷺ - وأصحابه المدينة قال: «أخرج أبو سعد في «شرف المصطفى» ورويناه في «فوائد» الخلعي عن طريق عبيد الله بن عائشة منقطعاً «لما دخل النبي - ﷺ - المدينة جعل الولائد يقلن:

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنا
مِنْ ثَنِيّاتِ الوَدَاعْ
وَجَبَ الشُّكْرَ عَلَيْنا
مَا دَعَا للهِ دَاعْ

وهو سند معضل ولعل ذلك كان في قدومه من غزوة تبوك» اهـ. ثم قال الحافظ

(١) ٧: ٢٠٩.

في شرح قول السائب بن يزيد: «أذكر أني خرجت مع الغلمان إلى ثنية الوداع نتلقى رسول الله - ﷺ - وهو في باب كتاب النبي - ﷺ - إلى كسرى وقيصر، قال في «فتح الباري» بمناسبة إيراد البخاري قول السائب المذكور: (قد روينا بسند منقطع في «الخلعيات» قول النسوة لما قدم النبي - ﷺ - المدينة:

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنا
مِنْ ثَنِيّاتِ الوَدَاعْ
وَجَبَ الشُّكْرَ عَلَيْنا
مَا دَعَا للهِ دَاعْ

فقيل: ذلك عند قدومه في الهجرة - وقيل: عند قدومه من غزوة تبوك» اهـ.

هذا ما قرره الحافظان: زيد الدين العراقي وابن حجر العسقلاني حول رواية ابن عائشة هذه وهو الصواب، لا ما وقع للمحب الطبري في «الرياض النضرة في مناقب العشرة» حيث قال: «عن ابن الفضل بن الحباب الجمحي قال سمعت ابن عائشة يقول: أراه عن أبيه قال: «لما قدم النبي - ﷺ - المدينة جعل الصبيان والنساء والولائد يقولون:

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنا
مِنْ ثَنِيّاتِ الوَدَاعْ
وَجَبَ الشُّكْرَ عَلَيْنا
مَا دَعَا للهِ دَاعْ

خرَّجه الحلواني على شرط الشيخين»

انتهى نص الرياض النضرة، فقد تعقب الزرقاني في شرح المواهب اللدنية للعسقلاني قول المحب الطبري: إن سند هذه الرواية على شرط الشيخين، تعقبه بقوله: «وفيه مغمز فالشيخان لم يخرجا لابن عائشة فلا يكون على شرطهما ولو صح الإسناد إليه»اهـ.

الثاني:

من أقوال العلماء في وقت إنشاد هذا النشيد «طلع البدر علينا»: أن إماء أهل مكة قلنه في رجوعهنَّ عند لقاء النبي - ﷺ - يوم الفتح وأن الوداع وادٍ بمكة نقل ذلك القاضي عياض في «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» عن كتاب المظفر، وتعقبه

القاضي عياض بأنه خلاف ما قاله غيره من أن نساء أهل المدينة قلنه عند دخوله المدينة، وقال: الأول أصح لذكر نساء الأنصار ذلك عند مقدم النبي - ﷺ - المدينة فدل أنه اسم قديم لها، وقال: بينها وبين الحفياء ستة أميال أو سبعة عند ابن عقبة وخمسة أو ستة عند سفيان» انتهى كلام القاضي عياض، ونقله عنه نور الدين علي بن أحمد السمهودي في «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى».

الثالث:

من الأقوال في تاريخ هذا النشيد «طلع البدر علينا»: أنه عند مقدم خير الخلق - ﷺ - المدينة في غزوة تبوك

وتقدم ما يدل على اختيار البيهقي هذا القول وهو أنه قال بعد ذكر القول بأن النشيد عند مقدمه - ﷺ - المدينة مهاجراً قال: «هذا يذكره علماؤنا عند مقدمه المدينة وقد ذكرناه إلا أنه إنما قدم المدينة من ثنيات الوداع عند مقدمه من تبوك والله أعلم» . اهـ.

وإلى هذا القول مال الإمام ابن القيم في «زاد المعاد» قال: «فلما دنا رسول الله - ﷺ - من المدينة راجعاً من تبوك خرج الناس لتلقيه وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن:

طَلَعَ الـبَدْرُ عَلَيْنا

مِنْ ثَنِيَاتِ الوَدَاعْ

وَجَـــبَ الــشُّــكْــرُ عَــلَــيْــنـــا
مَـــــــــــا دَعَــــــــــا للهِ دَاعْ

وبعض الرواة يهم في هذا ويقول: إنما كان ذلك عند مقدمه المدينة من مكة، وهو وهم ظاهر لأن ثنيات الوداع إنما هي من جهة الشام لا يراها القادم من مكة إلى المدينة ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام» انتهى كلام ابن القيم.

وأيد الحافظ أبو زرعة العراقي في «طرح التثريب» هذا القول بما في «صحيح البخاري»، «وسنن أبي داود»، «والترمذي» عن السائب بن يزيد قال: «لما قدم رسول الله - ﷺ - من تبوك خرج الناس يتلقونه إلى ثنية الوداع».

قال أبو زرعة: وهذا صريح في أنها من جهة الشام قال: «ولهذا لما نقل والدي رحمه الله في شرح الترمذي كلام ابن بطال رأى في ذلك قال: إنه وهم قال: وكلام ابن عائشة معضل لا تقوم به حجة» اهـ.

قلت ـ القائل إسماعيل الأنصاري ـ: مما جاء بصدد كون هذا النشيد إثر قدوم النبي ـ ﷺ ـ من بعض غزواته ما رواه ابن حبان في صحيحه قال ـ كما في «موارد الظمآن وزوائد ابن حبان»: أخبرنا محمد بن إسحاق بن خزيمة، حدثنا زياد بن أيوب، حدثنا أبو تميلة يحيى بن واضح، حدثني الحسين بن واقد، حدثنا عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: رجع رسول الله ـ ﷺ ـ من بعض مغازيه فجاءت

جارية سوداء قالت: يا رسول الله إني نذرت إن ردك الله سالماً أن أضرب على رأسك بالدف. فقال رسول الله - ﷺ -: «**إنْ نَذرتِ فافعلي وإلا فَلاَ**» فقالت: إني كنت نذرت. فقعد رسول الله - ﷺ - وضربت بالدف وقالت:

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنا
مِنْ ثَنِيّاتِ الوَدَاعْ
وَجَبَ الشُّكْرَ عَلَيْنا
مَا دَعَا للهِ دَاعْ

وقد سلك المؤيدون للقول الأول في الإجابة عما أورده الإمام ابن القيم والحافظ ولي الدين العراقي المسالك التالية:

١ ـ ما ذكره العلامة الشيخ حسين بن محمد بن حسن الديار بكري في الجزء الأول من تاريخ «الخميس في أحوال أنفس نفيس» فقد قال إثر كلامهما ص **٣٤٢**: (لكن قال زين الدين العراقي ـ أي والد ولي الدين ـ يحتمل أن تكون الثنية التي من كل جهة يصل إليها المشيعون يسمونها ثنية الوداع. انتهى.

قال مؤلف الكتاب ـ يعني الديار بكري نفسه ـ: يشبه أن يكون هذا هو الحق ويؤيده جمع الثنيات إذ لو كان المراد بها الموضع الذي هو من جهة الشام لم يجمع، ولا مانع من تعدد وقوع هذا الشعر عند قدومه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من مكة ومرة عند قدومه من

تبوك فلا ينافي ما في «صحيح البخاري» وغيره. أي - أي الذي استدل به العراقي وقد تقدم - ولا ما قاله ابن القيم .اهـ.

وقد نقله عنه الزرقاني في «شرح المواهب اللدنية» ١ - ٣٠٠ وصرح في الجزء الثالث ص ٨٢ بما نصه «لا مانع من تعدد وقوع هذا الشعر مرة عند الهجرة ومرة عند قدومه من تبوك فلا يحكم بغلط ابن عائشة لأنه ثقة» اهـ.

٢ - أن كون ثنية الوداع شمال المدينة لا يمنع كون ذلك النشيد عند مقدم النبي - ﷺ - إياها للهجرة لأنه - ﷺ - ركب ناقته وأرخى لها زمامها وقال: **«دَعُوهَا فَإِنَّها مَأمُورَةٌ»** ومرَّ بدور

الأنصار حتى مر ببني ساعدة ودارهم في شمال المدينة قرب ثنية الوداع فلم يدخل باطن المدينة إلا من تلك الناحية حتى أتى منزله بها، وقد عرج النبي - ﷺ - في رجوعه من بدر إلى ثنية الوداع كما في مغازي ابن عقبة: «أنه - ﷺ - سلك حين خرج إلى بدر حتى ثقب بني دينار ورجع حين رجع من ثنية الوداع».

وهذا جواب نور الدين علي بن أحمد السمهودي في «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى» عن كلام ابن القيم في «زاد المعاد» المتقدم واستحسنه الزرقاني في «شرح المواهب اللدنية» واعتمد عليه في نفي الوهم عن ابن عائشة الذي عناه ابن

القيم في عبارة «زاد المعاد» ببعض الرواة.

قال الزرقاني: «هو جواب حسن وإن كان شيخنا البابلي - رحمه الله - يستبعده بأنه يلزم عليه أن يمر ويرجع على قباء ثانياً فلا بعد فيه ولو لزم ذلك لإرخائه زمام الناقة وكونها مأمورة.

٣ - مسلك المجد الفيروزآبادي فإنه قال بعد أن نقل عن أهل السير والتاريخ وأصحاب المسالك: ثنية الوداع من جهة مكة قال: «وأهل المدينة اليوم يظنونها من جهة الشام». وكأنهم اعتمدوا قول ابن قيم الجوزية في «هديه» فإنه قال: «من جهة الشام ثنيات الوداع ولا يطأها القادم من مكة البتة». ووجه الجمع أن كلتا الثنيتين

تسمى بثنية الوداع» انتهى كلام المجد.

وقد تعقبه السمهودي في «وفاء الوفاء» بقوله «والظاهر أن مستند من جعلها من جهة مكة ما سبق من قول النسوة وأنّ ذلك عند القدوم من الهجرة، مع الغفلة عما قدمناه من توجيهه، وهو في الحقيقة حجة لمن ذكرها في جهة الشام ولم أر لثنية الوداع ذكراً في سفر من الأسفار التي بجهة مكة».

ثم قال السمهودي: «وإن سلم الجمع الذي ذكره المجد من أن كلاً من الثنيتين يسمى بذلك فالمراد من الأخبار المتقدمة كلها الموضع المتقدم بيانه في شمال المدينة، وكذلك من حديث السباق في أمد الخيل المضمرة أنه من الغابة أو

الحيفا إلى ثنية الوداع إلى مسجد بني زريق، لانطباق المسافة المذكورة في ذلك على الموضع المتقدم، كما سبق في مسجد بني زريق، وكما سيأتي في الحيفا، مع أن ما بين بني زريق وثنية المدرج لا يصلح للسباق أصلاً، وهو على نحو ضعفي ما ذكروه في المسافة. انتهى كلام السمهودي.

هذه مسالك العلماء في وقت إنشاد ذلك النشيد العظيم، أضعها بين يدي القارىء مقروناً كل مسلك منها بما يحتاج إليه من البحث وأرجو أن يكون في ذلك ما يمكنه من ترجيح ما يرى ترجيحه حسب الأدلة، والله ولي التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل.

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

مكتبة الإمام الشافعي
ص. ب ٢١٨٧ ـ الرياض ١١٤٥١
السعودية ـ هاتف ٤١١٨١١٢

صدر حديثاً

التحفة الربانية

في شرح الأربعين حديثاً النووية

ومعها شرح الأحاديث التي زادها ابن رجب الحنبلي

تأليف

اسماعيل بن محمد الأنصاري

الباحث في دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية

الكتب النادرة التي ترفع لأول مرة